

2022

الأوضاع السياسية في ألمانيا 1106-887

م.د. أروى خالد علي مصطفى
الجامعة العراقية / كلية الآداب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>



Part of the [Arts and Humanities Commons](#), and the [Law Commons](#)

Recommended Citation

1106-887 الأوضاع السياسية في ألمانيا (2022) "الأوضاع السياسية في ألمانيا 1106-887", *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol. 27: Iss. 1, Article 10.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol27/iss1/10>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

الأوضاع السياسية في ألمانيا 887-1106

أ.م.د. أروى خالد علي مصطفى
الجامعة العراقية / كلية الآداب

The Political Situations in Germany 887-1106

Asst. Prof. Arwa Khalid Ali Mustafa (Ph.D)
AL-Iraqia University/ College of Arts

المستخلص

خلال القرون الوسطى ، مثلت ألمانيا الجزء الشرقي من الإمبراطورية الكارولنجية ، والتي كانت نفسها تتكون من العديد من أنظمة الحكم الدوقية الذي كان ملكيًا وكذلك إقطاعيًا وراثيًا. تأسست مملكة ألمانيا بموجب معاهدة فردان الموقعة عام 843 بعد وفاة الإمبراطور شارلمان. وتتميز الفترة موضوع البحث بخلافة الأسر الحاكمة حيث هلك بعض السلالات الحاكمة وأفرغ العرش من الأسرة الراسخة لتتولى العرش ، كما عانت أحيانًا من أوضاع داخلية وخارجية غير مستقرة إما بسبب النزاعات الداخلية بسبب العرش أو بسبب هجمات من الخارج. و كان دور الكنيسة في دعم الملك كإرادة ملكية قضية بارزة في فترة البحث ، ودعمت الكنيسة الملك ماديًا ومعنويًا ، وأصبحت المصالح مشتركة بين البابا وملوك ألمانيا.

الكلمات المفتاحية: القرون الوسطى وألمانيا النزاعات

Abstract

During the Middle Ages, Germany represented the eastern part of the Carolingian empire, that was itself consisted of many duchy governing systems. They were royal as well as feudal lord and hereditary ones. The kingdom of Germany was established according to Treaty Of Verdun signed in 843 after the death of emperor Charlemagne.

The period which is the subject of research is distinguished with the succession of the ruling families since some family dynasties were perished and the lair emptied of inveterate family to take throne , it also suffered sometimes from unstable internal and external situations either due to internal conflicts because of throne or due to outsider attacks .

The role of church in supporting the king as well as kingship were prominent issues in the period of the research, church supported the king both materially and morally and interests became common between the pope and the kings of Germany.

Keywords: Middle Ages, Germany and Conflicts

المقدمة:

كانت ألمانيا تشكل الجزء الشرقي من الإمبراطورية الكارولنجية . تألفت في القرن التاسع عشر من عدة دوقيات مستقلة وهي : فرانكونيا Franconia وسكسونيا Saxony وسوابيا Swabia وبافاريا Bavaria ودوقية لوثرانجيا Lotharinga التي استقلت عن فرنسا في القرن العاشر ، وانضمت إلى ألمانيا. وكانت كل منها تنتمي إلى قبيلة معينة، وهي : الفرانكونيون، والسكسون، والسوابيون، والبافاريون، ولكل دوقية شخصية مستقلة . كان يعتقد أن تلك الممالك ستكون، دويلات قبلية، ولكنها في الحقيقة كانت عبارة عن ولايات إقطاعية أسسها كونتات ينتسبون إلى الإمبراطورية الكارولنجية، وكانوا عبارة عن مجموعة من الإقطاعيين أكثر من كونهم حكام قبليين ، ومع هذا كان للعامل القبلي أو القومي أهمية خاصة في كل واحدة من تلك الدوقيات؛ لما له من قوة بالغة التأثير في تاريخ أوروبا العصور الوسطى⁽¹⁾.

وخلال حكم الأسرة الكارولنجية كانت كل قبيلة تحت زعامة محارب كبير من القادة الذين استطاعوا الحصول على لقب دوق (أي دوقات القبائل) ، ويأتي بعدهم في ترتيب السلم الاجتماعي مجموعة صغيرة من النبلاء الكبار، ثم يأتي الفلاحون الأحرار. وكان قادة المجتمع الجرمني هم دوقات القبائل وكبار النبلاء والأساقفة ومقدمي الأديرة الألمانية⁽²⁾.

كان نظام الحكم في ألمانيا ملكيا إقطاعيا وراثيا. وقد نشأت مملكة ألمانيا بموجب معاهدة فردان عام 843 ، بعد وفاة شارلمان Charlemagne (768 - 814) ، فقد دب الضعف في الإمبراطورية الكارولنجية بعد تقسيمها بين أولاد شارلمان الذي بقي منهم لويس التقي Louis The Pious (814-840) وهو بدوره قسم الإمبراطورية إلى ثلاث ممالك يحكمها أبناؤه ببين Pepin ، ولوثر Lothaire لويس Louis وابنه شارل الأصلع Charles The Bald ، وتمرد الأبناء على أبيهم ، وترتب على ذلك صراع أدى إلى درجة الصدام المسلح ⁽³⁾. بعد هذا الصراع اجتمع الإخوة الثلاث (شارل الأصلع ولوثر الأول ولويس الألماني) في مدينة فردون واتفقوا على تقسيم الإمبراطورية الكارولنجية بينهم. فقد اخذ شارل الأصلع فرنسا ، ولوثر الأول إيطاليا ، أما لويس فحكم ألمانيا ، وبهذا تكون ألمانيا قد نشأت دولة مستقلة نتيجة تقسيم الإمبراطورية ومعاهدة فردون Treaty Of Verdun . ومع نهاية القرن التاسع ضعفت الدولة الكارولنجية فلم تعد قادرة على مواجهة الغزاة من الشرق والغرب ، بحيث شكل ذلك خطرا على الدوقات الألمانية. ففي الغرب كان عليها مواجهة خطر الاسكندنافيين ، أما في الشرق فكانت القبائل المجرية والسلافية تتوغل في الدولة. ولم ينج جزء من أجزاء أوروبا من الغزو أو الحروب الأهلية بعد موت شارلمان ⁽⁴⁾.

1- نهاية الأسرة الكارولنجية (887-911)

أ- أرنولف (Arnulf، 887-899)

اختير أرنولف دوق بافاريا ، ملكا على ألمانيا ، بعد ان عمت الفوضى البلاد نحو ست سنوات انتهت بخلع تشارلز البدين ، وقد امتاز حكم أرنولف البالغ اثنتي عشرة سنة بالحيوية والقوة . قضى أرنولف مدة حكمه في محاربة المجرين الذين غزو ألمانيا من الشرق، تمهيدا منه لفرض هيمنته على إيطاليا التي كانت تعمرها الفوضى السياسية . وكانت رغبة أرنولف في أن يصبح إمبراطورا هي التي دفعته للتدخل في الشؤون السياسية الإيطالية⁽⁵⁾.

وقد ساعده ذلك، الصراع القائم بين كل من حاكم منطقة فريولي (Friuli)، وحاكم منطقة سبوليتو (Spoleto) على اللقب الإمبراطوري ، فدخل روما، وتوج ملكا على الفرنجة الشرقيين عام 896 على يد البابا فورموزس (Formosus). ورغم ذلك فقد كان حكم أرنولف لإيطاليا حكما صوريا ، إذ إنه انتهى بانسحاب القوات الألمانية بسبب المقاومة . اتسم حكم أرنولف بالاستقرار لان النبلاء الألمان كانوا قد اكتسبوا قوة من التاج الملكي الألماني لان بقاءه جاء في مصلحتهم⁽⁶⁾.

ب- لويس الطفل (Louis the Child)، (899-911).

بموت أرنولف انتقل العرش إلى وريثه القاصر الشرعي والوحيد الذي اشتهر باسم لويس الطفل عام 900 . كان عمره آنذاك ست سنوات ، لذلك تشكل مجلس وصاية عليه من بعض الأساقفة والأمراء ، كما اشرف المجلس على السياسة العامة في البلاد . وكان مجلس الوصاية قد ابعد أمه الملكة (اودا Oda) عن التدخل في شؤون الحكم⁽⁷⁾. وبذلك انتقلت المملكة إلى يد الأساقفة خصوصا إلى أسقف ولاية "ماينز" Mainz، وأسقف ولاية أوغسبرغ Augsburg اللذين ضما إليهما بعض الأمراء ، وقد أدى ذلك إلى تقوية النزعة الإقطاعية عند الأمراء الألمان، مما ساعد على قيام الحروب والمنازعات فيما بينهم⁽⁸⁾.

تمتع كل من الكونت الفرانكوني كونراد – وهو أخ لأم لويس- والأسقف هاتون Hatton أسقف ماينز بسلطة مطلقة في عهد أرنولف، فكانا هما القوتين الحقيقيتين خلف عرش لويس الطفل، وتحالفا مع كثير من الجماعات داخل لوثرانجيا ؛ من اجل بسط سيطرتهم عليها بكاملها، واستطاعا طرد كونت لوثرانجيا، الذي كان يسعى إلى السيطرة عليها، ونتج عن ذلك ظهور استقرار سياسي للمملكة التي كانت تحت حكم لويس الطفل . كانت المملكة في هذه المرحلة تحتاج إلى زعيم قوي وليس طفلا لذلك ما لبثت إمبراطوريتهم أن تداعيت في عام 905، 906، وخضعت لسيطرة المجرين⁽⁹⁾.

وأمام الحملات المجرية، والضعف الداخلي للدولة الكارولنجية ، ظهر منافسون

لouis كان لهم نفوذ وسلطة لا يستهان بها، فبدأ المجريون في مضاعفة حملاتهم العسكرية على بافاريا وسكسونيا ولوثارنجيا، ففي عام 907 هُزم المجريين البافاريون هزيمة كبيرة، وفي عام 908 عاود المجريون مهاجمتهم للمملكة الكارولنجية مجتازين حدود سكسونيا ولوثارنجيا ، إلى ألمانيا، وفي عام 910 قام الفرنكيون بالاتحاد مع المجريين عند حدود فرانكونيا وبافاريا إلا أنهم هزموا مرة أخرى؛ فتوقفوا عن القتال (10).

في ظل آخر ملوك الدولة الكارولنجية _ لويس الطفل _ استغل الدوقات تطور الأحداث والهجمات التي تعرضت لها المملكة ، واخذوا دورهم في التدخل في الدولة. فقد قام دوق منطقة اللورين بإعلان نفسه ملكا على فرنسا. وهذا يدل على ان النبلاء ليس لديهم رغبة في توحيد البلاد . أما الأساقفة فكانوا حريصين على إيجاد وحدة داخلية تمكن الإمبراطورية من الاستقرار تحت ظل حاكم جديد (11).
أما النظم الاقتصادية فقد طرأت عليها بعض التحسينات خاصة فيما يتعلق بالنقل البحري، إلا أن الحروب المتتالية، والغزوات المجرية والصراعات الداخلية من قبل النبلاء ذوي النفوذ ، حالت دون تطور نظم الدولة الأخرى. انتهت الأسرة الكارولنجية بموت لويس الطفل عام 911، وبذلك انتهت في ألمانيا السلالة الكارولنجية (12).

ج- ألمانيا في عهد كونراد الأول (Conrad I)، (911-918)

بعد وفاة الملك لويس الطفل، الذي لم ينجب أطفالاً ، لم يبق من الأسرة الكارولنجية سوى ملك فرنسا شارل البسيط أو الساذج ، ليكون ملكاً على ألمانيا ، حسب قوانين الوراثة في جرمانيا . لكن الدولة كانت بحاجة إلى ملك قوي من أجل صد هجمات المجريين ، كما ان الكنيسة وجدت ان الملك القوي سوف يحد من جشع الدوقات الذين استولوا على ضياعهم زمن لويس الطفل (13).

لذلك قام كبار شخصيات القصر بانتخاب كونراد دوق فرانكونيا ملكاً لألمانيا ، وهكذا أصبحت الملكية الألمانية انتخابية، يشترك في انتخاب الملك كبار الأمراء ورؤساء أساقفة ميونخ وكولونيا، وفي الوقت نفسه أصبحت عملية الانتخاب مصدر خلافات لا تنقطع (14).

كان كونراد الأول راغباً في عرش ألمانيا ، وكان نفوذه قوياً منذ حكم أرنولف ، واستمر إلى عهد لويس، إضافة إلى ذلك فهو أخ لأم لويس، وكان على علاقة قوية مع رجال الدين والكنيسة، كما كان على صلة قرابة مع أسقف منطقة ماينز، وأما الوضع السياسي الداخلي للدولة فكان مستقراً ، هذه العوامل هيأت الظروف لصالح كونراد، في الوقت الذي كان فيه الوريثة الشرعيون للأسرة الكارولنجية قد انتهوا، وبذلك لم يكن باستطاعة أحد معارضة انتخاب كونراد ولكن من المعتقد أنه ليس انتخاباً

بالمعنى الشوري وإنما انتخاب ديكتاتوري⁽¹⁵⁾.

لذلك حاول كونراد التقارب بين الملكية و(رجال الدين) ؛ ليستطيع السيطرة على الأمراء . وبالرغم من أنه كان مدعوماً من قبل الأسقفية الكنيسة ، فإنه لم يكن قادراً على الاحتفاظ بحكومة مركزية، وكانت فترة ولايته مملوءة بالمشاحنات والعداء المستمر وحركات تمرد غير منقطعة ، التي كان يمارسها الإقطاعيون ، كما أنه لم يستطع التصدي للغزو المجري للبلاد ، فقد أغار المجرئون على مدينة كوبلنز Coblens وبازل Pazel واحرقوهما . وهكذا قويت النزعة الانفصالية في أقسام ألمانيا المختلفة، وكثرت الحروب الأهلية والثورات الداخلية في ذلك العهد، فقسمت اللورين في عهده إلى أجزاء ، وواصل السوابيون حروبهم وثوراتهم حتى وفاة كونراد أما دوق بافاريا الذي نفاه كونراد فقد عاد إلى موطنه رغم إرادة كونراد الأول⁽¹⁶⁾.

لم يكن كونراد الأول قادراً على ممارسة أي سلطة على الدوقات القبلين الذين كانوا مستقلين ، وعندما حاول بسط سيطرته على جميع أنحاء المملكة، هزم أمام حكام إمارتي بافاريا وسوابيا، واعترف لأمرائها بأنهم مساوون له⁽¹⁷⁾ . أدى فشل كونراد السياسي إلى أمرين أولهما : أن كونراد لم يستطع الوقوف في وجه المؤسسة الإقطاعية التي أنشأها الدوقات، والتي تأصلت وتجذرت إلى الحد الذي لم يستطع كونراد أن يواجهها، والأمر الثاني : أن الوقت لم يكن يتيح للكنيسة التفرد بأمر السياسة والحكم، خاصة أن الكنيسة كانت تسعى إلى الاستقلالية بكل ما لديها من قوة، إلا أن سعيها انهار فجأة؛ بموت كونراد⁽¹⁸⁾.

توفي كونراد الأول في عام 919، وقبل وفاته أوصى بان يتولى عرش ألمانيا (هنري)، وهو من الأسرة السكسونية، خلفاً له ، لأنه اعتقد أنه أصلح من ينتشل البلاد من الهوة التي تردت فيها⁽¹⁹⁾.

2- حكم الأسرة السكسونية (919-1024).

أ- هنري الأول (الصيد)⁽²⁰⁾، (936-919 Henry 1 The Fowler).

بعد وفاة كونراد اجتمع جميع أمراء ألمانيا ما عدا بيركهارد (بريتشارد) Bretchard أمير سوابيا، وأرنولف أمير بافاريا، في منطقة فرينزلار Vrinzlar، حيث اختاروا بالانتخاب هنري ملكاً عليهم؛ باعتباره الدوق الأكبر للأسرة السكسونية في عام 919 بأغلبية الأصوات⁽²¹⁾، وكان غالبية المنتخبين من السكسونيين والنبلاء الفرانكونيين . لقد حصل هنري على العرش؛ نتيجة لتوصية كونراد الأول وقبول النبلاء عبر ما يسمى بعملية الانتخاب ، لذا فقد أصبح العرش الألماني موروثاً شرعياً لهنري⁽²²⁾.

قيض لأسره هنري، والتي عرفت فيما بعد باسم أسرة أوتوا "Ottonians"، أن

(23)

أداة الخ

ة بير

1

٢٠

حدود معينة لقوة هؤلاء الدوقات ، الأمر الذي يؤمن استقرار العرش والتاج الألماني .
 وأما في فرنسا، فقد استتجد ملك فرنسا تشارلز Charles ودوق باريس Paris روبرت Robert بهنري الأول ؛ لتخليصهم من رودولف Rudolf دوق براغندي، لكنه في البداية رفض لعدائه الشديد لروبرت، لكن بعد هزيمة روبرت ومقتله في معركة مع رودولف ، قام هنري الأول بطرد رودولف من فرنسا وأصبح تشارلز حليفاً لهنري (28).

أما سياسة هنري الأول تجاه الكنيسة فكانت تختلف كثيراً عن سياسته مع الدوقات ، فلم يجعل نفسه تابعاً للكنيسة عندما رفض أن يتوج من قبل الأساقفة ، لكنه عمل على تواصل اتحاده مع رجال الدين والكنيسة ، وكانت صيغة الاتحاد بينه وبين الكنيسة يغلب عليها طابع التحكم ، ولضمان تبعية الأسقفية له تبعية ملزمة ومباشرة، منحهم مقتطعات وهبات تخدم المصالح الكنسية دون أن يتجاوز الحد المطلوب من السلطة الحاكمة ، وأعاد لهم أراضيهم التي أخذت منهم خلال حكم لويس الطفل . وقام ببناء هيكلية إدارية للكنيسة في جميع الدوقيات ليس للدوقات أي سيطرة عليها ، لأن الكنيسة كانت جزءاً مهماً في الدولة، فقد زودت العرش بحاشية مخصصة، مع السماح للسلطة الملكية بالوصاية على انتخابات المجلس الأسقفي؛ وبذلك ضمن هنري ولاء الأساقفة للتاج الملكي (29).

تعرضت المملكة خلال حكم هنري الأول إلى غارات المجرين ، الذين أعادوا غاراتهم عام 924 ، مع أنها لم تتوقف في السنوات الأولى من حكم هنري الأول، لكنها كثفت هجومها على الحدود المتاخمة للمملكة؛ ففي عام 926 قام المجريون بنهب منطقة إس تي غول S-T-Gul ، لكن القرويين أجبروهم على التراجع . وتكررت تلك الأحداث في أكثر من مكان ، إلى أن تم أسر الملك المجري "زولدان" Zuldán عن طريق الصدفة أثناء غارة شنها الألمان. لكن هنري الأول أطلق سراح الملك الأسير، ووافق على دفع تعويضات سنوية له شريطة أن يدخل في اتفاقية سلام معه لمدة تسع سنوات ، لأن سكسونيا كانت قد تلقت وحدها عملية الغزو، دون أن تلقى مساعدة من سوابيا أو بافاريا، وبذلك يستطيع أن يجنب بلاده خطرهم لاستغلال الوقت للقيام بإصلاحات (30).

لم تتغير سياسة هنري الأول السلمية مع منافسيه طيلة فترة حكمه ، فقام بتزويج ابنته من دوق لوثرينجيا ومنحة دوقية ، وكان دوق لوثرينجيا قد تمرد عليه ، وسجنه في زوبلخ. وعم السلام في تلك الفترة جميع أنحاء الإمبراطورية وسنحت لهنري الفرصة لتتبع الشؤون الاقتصادية في الإمبراطورية وبهذا شكلت سكسونيا في هذه الفترة ، جزءاً كبيراً من التاريخ الألماني : الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وبرزت فيها المؤسسة الإقطاعية بشكل كبير وواضح (31).

كان من أهم إنجازات هنري هي بناء مؤسسة دفاعية متينة لحماية سكان ألمانيا من الهجمات الخارجية وكانت الحصون التي أقامها من الموانع القوية التي حافظت على بقاء ألمانيا . لأن هذه الحصون كانت والوسيلة الأنسب من وجهة نظر هنري لتفادي الهجمات المجرية المفاجئة . وقد كانت إدارة تلك الحاميات تقع مباشرة تحت سيطرته؛ لضمان تأمينها ولم تكن تلك المواقع العسكرية معدة فقط للحماية ضد الهجمات بل إنها

كانت أيضاً مواقع تدريب عسكري⁽³²⁾.

أما على الصعيد العسكري فقد استطاع هنري أن يهزم المجريين هزيمة ساحقة عام 933. في معركة سيلبيرغ Silberg. وامتد نشاط هنري العسكري إلى بوهيميا، مما أدى إلى أن تصبح تحت سيطرته السياسية ، التي شجعت على تغلغل المسيحية في سائر البلاد السلافية الأخرى. وآخر حادث عسكري في حكم هنري كان حربه مع الدنماركيين . وإجبارهم على دفع الضريبة، والعمل على تنصيرهم بتوجيه كنيسة هامبورغ . توفي هنري الأول في 936 بعد أن حكم ألمانيا أكثر من عقدين من الزمان⁽³³⁾ .

ب- أوتو الأول (936-973 Otto I)

انتخب أوتو الأول خليفة لوالده هنري اذ كان يحظى باحترام شعبه النابع من احترامهم لوالده الذي حقق إنجازات تاريخية مهمة. ترك هنري لابنه أوتو الأول دولة ذات دعائم قوية عزز فيها موقفه عن طريق تأمين موافقة النبلاء على توليه العرش قبل موت هنري . ولد أوتو في عام 912 في سكسونيا إحدى الدوقيات الألمانية الخمسة، ثم تزوج من ابنة ملك انكلترا. بعد تسلم أوتو العرش واجه العديد من التمردات الداخلية، والضغوطات الخارجية، التي اضطر إلى مواجهتها(34).

ففي الداخل قام ابن هنري من زوجته الأولى اميرة هاتبيرغ Hatberhg ، والذي كان يدعى ثانكمار Thankmar بالادعاء بأحقية بخلافة والده على الحكم، حيث طلق هنري زوجته الأولى –أم ثانكمار- وصادر إرثها وارث وولدها ووضعها تحت سيادة الدولة، وتزوج ماتيلدا Matilda التي أنجبت له ثلاثة أبناء هم أوتو، وهنري، وبرونو Bruno، ثم رغم أن هنري سمى أكبرهم ولياً للعهد، فان ماتيلدا كانت ترغب في تولية ابنها هنري العرش بعد وفاة والده (35).

ثار ثانكمار ضد أوتو يؤيده السكسونيون و إبيرهارد Eberhard دوق فرانكونيا الذي كان هو وأخوه الملك كونراد قد ساهما من قبل في نقل العرش إلى الإمبراطور السكسوني هنري، لكن عندما مات هنري حاول إبيرهارد تثبيت مزاعمه على العرش متأثرا بكرهه الشديد لأوتو، كما تعاطف مع ثانكمار، بيرنهارد حفيد لويس الثاني . وشارك أيضا بالتآمر على أوتو كل من دوق غيسلبيرت Gislebert دوق اللورين،

وأخو أوتو الذي يدعى هنري (36).

تحرك أوتو تجاه مناطق المتمردين وحاصر ثانكمار في منطقة أريزبيرغ Arizberg وذبحة في مذبح الكنيسة، فقام أوبرهارد دوق فرانكونيا بإخضاع نفسه لأوتو. كان تصرف أوتو الوحشي مع أخيه ثانكمار، دليلاً واضحاً على مدى أنانيته، وحبه لنفسه، ورغبته في القضاء على أي شيء في سبيل الحصول على السلطة، وتملك زمام الأمور. وهذا دليل على صلابته وعجرفته، وقد لجأ إلى أساليب الخداع والمكر لتحقيق إنجازاته ونجاحاته لبناء إمبراطورية واسعة وقوية (37). وهنا ظهر الفرق واضحاً بين أسلوب هنري الأب وولده أوتو في القضاء على التمردات الداخلية، فنرى كيف استطاع هنري أن يكسب كل المتنافسين له والمتمردين بالطرق السلمية، وظهر ذلك مع كل من أرنولف دوق بافاريا، ودوق لوثرنجيا، الذي انتهى الأمر بمصاهرتهم (38).

قام مرة أخرى هنري الابن بتوسيع نطاق علاقاته من خلال كسب أبناء أرنولف حاكم بافاريا، وعودة إمبرهارد دوق فرانكونيا للتحالف معهم، إضافة إلى غيسيلبيرت دوق اللورين. لكن أوتو استطاع من خلال معركة مميتة أن ينتصر عليهم، بعد مقتل إمبرهارد، وغرق غيسيلبيرت في نهر الراين، أما هنري ففر إلى فرنسا وأخذت نيران التمرد (39).

قام أوتو بعدها بوضع فرانكونيا تحت حكم مباشرة وأصبحت قاعدة مركزية؛ لدعم قوة المملكة السكسونية، كما تم وضع أجزاء من بافاريا أيضاً تحت حكمه بصورة مباشر، وقد كانت لذلك دوافع سياسية وجغرافية إذ كان التحكم المباشر في فرانكونيا يضيق الخناق على كل دوقية في محاولات أخرى للانفصال مستقبلاً، فموقعها الجغرافي كان بمثابة موقع سياسي يسهل من خلاله الوصول لأي حركة تمرد وضربها ومنعها من التملص أو الانقلاب، حيث لا أمل لبافاريا وسوابيا الواقعتين بين الحدود الإيطالية بالتقدم نحو سكسونيا أو الهروب منها (40).

بعد أن قام أوتو بإخضاع فرانكيا وبافاريا عم السلام لفترة وجيزة جميع أرجاء المنطقة، وفي عام 944م منحت ولاية لوثرنجيا إلى كونراد الأحمر بن غيسيلبيرت وكان ذلك بادرة حسن نية، ليعم السلام جميع الأطراف المتناحرة، ثم زوجه ابنته. ضم أوتو الجانب الفرانكوني إلى عائلته، واتباع أوتو سياسة الزواج والمصاهرة؛ لتأمين ولاء فرانكونيا وسوابيا وبافاريا عن طريق الارتباط العائلي مع ولاية تلك المقاطعات

وإخضاعهم لسيطرته⁽⁴¹⁾.

(42)

كان قد تمرد عليه مما دفع اوتو لأخذ لوثرنجيا منه وإعطائها لأخيه برونو⁽⁴³⁾.

تعيين الأساقفة ثم عزلهم؛ مما أضر ببنية الكنيسة ونظامها (45).

لديه أرض أو أملاك أو جيش أو عوائد تخصه بشكل مباشر، ولو قام كبار رجال

الدولة بوقف دعمهم للملك فسوف يصبح عاجزاً عن إدارة ملكه⁽⁴⁶⁾. وكما نجح أوتو في القضاء على التمردات الداخلية، وحقق نفس النجاح في سياسته الخارجية وحروبه. أراد توسيع سلطته السياسية في جميع المناطق، فقد وقف ضد النفوذ الفرنسي في أي مكان من الغرب، وضد السياسة السلافية من الشرق، وحتى ضد المملكة الإيطالية المتأرجحة في الجنوب⁽⁴⁷⁾.

انقسمت فرنسا إلى قسمين متناحرين؛ بسبب المعارك التي دارت بين لويس وهوجو كونت باريس، وكان كلا المتنافسين زوجين لأختي أوتو، أما هوجو فقد تلقى دعماً نورمانياً لمواجهة لويس؛ من أجل نيل التاج الملكي، وبسبب أسر لويس من قبل النورمان، قام أوتو بغزو فرنسا عام 974 ولكنه لم ينجح في هجماته ضد باريس أو روين عاصمة نورماني في تلك الفترة. وعمّ سلام شامل بين أوتو والنورمان بواسطة كونراد ملك فرنكونيا. ثم لعب أوتو دور الوسيط بين المتنافسين على عرش فرنسا فاعتلى لوثر بن لويس عرش فرنسا بعد موت أبيه، أما ابن هوجو وهو ابن أخت أوتو فقد تولى العرش بعد انقراض السلالة الكارولنجية الحاكمة في فرنسا. أما في الشرق فاستطاع أوتو إخضاع التمرد البوهيمي (السلاف) وأجبر بوهيميا كلها على العودة إلى الهيمنة الألمانية. وقام ببناء الأسقفيات في كل من هافيلبيرغ وبراندنبيرغ؛ لتدعيم ملكه في المنطقة التي احتلها من السلافيين، ثم للعمل على تحويلهم إلى الدين المسيحي⁽⁴⁸⁾.

اشتبك أوتو مع الدنماركيين بمعركة كبيرة، واستطاع هزيمتهم، ثم أجبرهم على حلف يمين الولاء المسيحي له. وقام بإعادة تشكيل الحدود الدنماركية القديمة وبنى حدوداً جديدة. أما المجريون فقاموا بغزو ألمانيا مرات عديدة في عهد أوتو، كانت أولها عام 937 حين قاموا بغزو سكسونيا ثم بافاريا اللتين تعرضتا لهجمات مجرية عديدة. وفي عام 955 شن المجريون غارة كبيرة أوصلتهم إلى أوغسبرغ، إلا أن أوتو استطاع حشد قوات كبيرة من السكسون والفرانكون إضافة إلى مقاتلين من سوابيا وبافاريا، وقوات من بوهيميا، ولقي المجريين في معركة ليشفيلد Lechfeld حيث دمرت فيها القوات المجرية واندحرت. وبذا فقد كان عام 955 آخر الغارات المجرية على الغرب، وبعد هزيمة المجريين في معركة ليخفيلد انسحبت القوات المجرية إلى سهول الدانوب، حيث استوطنوا هناك وبنوا ما عرف بمملكة هنغاريا⁽⁴⁹⁾. وفي عهد الملك اس تي ستيفت S.T.Stephen اعتنق المجريون المسيحية وأصبحوا دولة تابعة للبابوية، وأصبحوا يدورون في فلك السياسة الألمانية. كما حرر ذلك الانتصار شمال إيطاليا من المعتدين عليها والمتحرشين بسيادتها، وبعد ذلك

وأعلنوه إمبراطوراً⁽⁵⁰⁾.

توحيد ايطاليا وتتويج اوتو امبراطورا

الضروري التدخل في شؤون إيطاليا؛ للسيطرة على البابوية⁽⁵¹⁾.

استطاعت الفرار من السجن واتجهت إلى قلعة كانوسك Canossa للتخفي هناك⁽⁵²⁾

الأعلى كما تار فريدريك Frederick رئيس أساقفة ماينز⁽⁵³⁾.

تتافسهم (54).

دون الرجوع إلى الإمبراطور، وبمجرد مغادرته قام البابا بالتراجع عن اليمين الذي

أخذه على عاتقه فعاد أوتو إلى إيطاليا عام 963 ثم قام بخلع البابا يوحنا وانتخاب بابا جديد . فما كان من الرومان إلا أن قاموا بانتخاب بابا جديد وهو بندكت الرابع Benedict IV دون الرجوع إلى أوتو؛ فقام أوتو بنفيه وبتعيين ليو الثامن leo VIII بدلاً منه (55).

اتخذت الإمبراطورية الرومانية شكلاً آخر عندما ولي عليها أوتو الأول، حيث غير اسمها لتصبح (الإمبراطورية الرومانية المقدسة) للشعب الألماني، وقد وجدت أثناء تلك الفترة مؤسسة جديدة تحت قيادة أوتو . واستبدل دوقات إيطاليا بدوقات معظمهم ألمانى المولد، كما استوطن الكثير من الألمان في إيطاليا؛ وبذلك أنشأ قوة موازية لقوة روح التمرد التي كانت عند اللومبارديين والرومانيين . وقام أوتو بإنشاء الاتحاد الدائم بين ألمانيا وشمال إيطاليا، والذي تحول فيما بعد ، تحت قيادة أوتو الثالث ، إلى اتحاد ضم أربعة شعوب هي : الألمان، الإيطاليون، المغوليون والسلافيون، وقد جمعهم مع بعضهم البعض فكرة حماية الكنيسة الكاثوليكية التي قادها الإمبراطور نفسه (56).

حاول أوتو في عام 968 استعادة الجزء الجنوبي لإيطاليا من اليونانيين، لكنها استعصت عليه عسكرياً، لذلك لجأ إلى سياسة المصاهرة إذ طلب يد الأميرة تيوفانو Tyovano بنت رومانوس الثاني Romanus II إمبراطور بيزنطة الأسبق لابنه أوتو الثاني على أمل أن يأخذ جنوب إيطاليا، وهي من الممتلكات البيزنطية في إيطاليا، كهدية زواج الأمير والأميرة، لكن طلبه قوبل بالرفض، في عام 972 عاود الطلب وتمت الموافقة عليه فتزوج أوتو الثاني من الأميرة البيزنطية، وتحقق بذلك ما كان يحلم به شارلمان من توحيد الإمبراطوريتين بطريق الزواج . لعبت الأميرة البيزنطية دوراً كبيراً في تغيير التقاليد الألمانية بالتقاليد البيزنطية التي جلبتها معها، والتي انتشرت تدريجياً وأثرت في العادات التي كان يمارسها الناس في ألمانيا (57).

توفي أوتو في 7 أيار 973 بعد أن عم السلام جميع أرجاء إمبراطوريته، مخلفاً عرشه لابنه (أوتو الثاني) من زوجته أدهيلد. ترك أوتو الأول لابنه إرثاً قوياً داعماً لمملكته، إلى جانب مهام أثقلت كاهل أوتو الثاني، فقد توسعت التخوم المشرفة على ألمانيا، وانتشرت المسيحية شرقاً وغرباً، حتى أن البوهيميين تحولوا إلى دوقات ألمان، وانتشرت المسيحية في أراضي السلاف، وعقد البولنديون والدمركيون حلفاً مع ألمانيا، وعززت السطوة الملكية الداخلية في أرجاء الإمبراطورية (58).

ج- أوتو الثاني (973-983).

كان أوتو قصير القامة لكنه كان قوي البنية، ذا بشرة حمراء متوردة اللون، كان ذا علم وأدب تلقاهما منذ صغره على يد والدته أدهيلد، إلى جانب زوجته التي كانت تحته على طلب العلم . تولى أوتو الثاني العرش عام 973، وهو في سن الثامنة عشر، ولما كانت أمه إيطالية وزوجته بيزنطية فقد كان اهتمامه بإيطاليا أكثر مما كان عليه أبوه (59).

حاول أوتو الثاني إقحام الجانب الروحي كمذهب ومبدأ للدولة، فجعل الكنيسة تحت

من المدن البيزنطية مثل سالرنو Salerno، وباري Bari وتارنتو Taranto. كما أنزل هزيمة بالمسلمين عند قطرون Cotrone، وقُتل في المعركة أبو القاسم أمير صقلية. والتقى مرة أخرى جيش أوتو مع اليونانيين بالقرب من شاطئ البحر بجوار منطقة باسانتيلو، وبشكل مفاجئ قام المسلمون بالهجوم على الإمبراطورية من الخلف ، وما كان منه إلا أن فرنجياً بحياته (65).

كانت تلك الهزيمة الكارثة الأولى من نوعها في تاريخ الإمبراطورية الاوتية ، إذ أنها قضت لمدة قرنين على سيادة الإمبراطورية الغربية في وسط إيطاليا وجنوبها وزادت الكارثة عندما جاءت الأخبار إلى الإمبراطورية بتحريك السلاف على نهر الألب، بعد أن أعلنوا ارتدادهم إلى الوثنية، وذبوا كثيراً من رجال الكنيسة، ودمروا الكنائس . إلى جانب ذلك أقام الملك البولندي الجديد بوليسلي كروبري حاجزاً بين الألمان وبين مطامعهم في الشرق لمدة قرن كامل من الزمان لذلك عقد الإمبراطور أوتو الثاني مجمعاً في فيرونا Verona عام 983، وقرر المجتمعون التضامن تحت زعامة الإمبراطور؛ لشن حرب ثانية ضد المسلمين، وفي أثناء الاستعدادات لتلك الحرب مات الإمبراطور في ديسمبر عام 983 ثم دفن بكنيسة القديس بطرس في روما (66).

د- أوتو الثالث (983-1002 Otto III).

بعد وفاة أوتو الثاني ، خلفه على الحكم ابنه الطفل (أوتو الثالث) الذي لم يتجاوز الثالثة من عمره ، لذلك واجهت المملكة عدة تمردات تطالب بالعرش الألماني ، ففي الشمال قام السلافيون في منطقة الألب بتمرد نتج عنه تدمير معظم المستعمرات الألمانية التي نشأت في المنطقة ، فاستولوا على مدن مهمة ، كما بدأ المجرئون يتوحدون من جديد تحت قيادة ستيفن الأول Stephen I الذي توجه أوتو الثاني بيديه. أما الدنمارك فقد انشقت عن المسيحية وقام حاكمها سوين فورك بيرد (Sweyn Fork Beard)، الذي كان قد عزل والده المسيحي واحيا الفرق الوثنية القديمة، باجتياح المستعمرات الألمانية في الدنمارك وحررها من الألمان (67).

في تلك الأثناء قام هنري خصم أوتو الثاني بطلب الوصاية على عرش أوتو الثالث لكونه طفلاً ثم قام بأسره ، نظراً لأن مبدأ الوراثة لم يتحقق قانونياً بعد، غير أن ما كان للأسرة من مكانة وما للحكومة التي أقامتها الأسرة من قوة، أدى إلى اختيار أوتو الثالث ليخلف أباه على الحكم . وبفضل تأييد رجال الدين ، خصوصاً رئيس أساقفة ماينز؛ صارت الوصاية لوالدته تيوفانو ، التي كان لها التأثير القوي في تربيته ، حيث

الحضارة البيزنطية، وزادت من روح النهضة الفنية والأدبية⁽⁶⁸⁾.

لقد ألهم جربرت تلميذه أوتو الثالث بإقامة إمبراطورية وبابوية تحكمان العالم المسيحي بمعنى أن يجعل أوتو نفسه ملكاً مقدساً تكون له السيطرة على الشؤون الدينية والسياسية معاً. فأطلق على نفسه (خادم الرسل). وأراد أن يجعل روما قاعدة الحكم وحاضرة العالم وعاصمة المملكة بعد أن أصبحت كنيسة أم الكنائس الغربية جميعاً، فقام بتشييد قصر إمبراطوري جديد فيها واتخذها عاصمة له وقضى أوتو الثالث حكمه غارقاً في أحلام الماضي، بعيداً عن الواقع والحقائق التي أحاطت به، فأقام معظم أيامه في إيطاليا الأمر الذي أضر بهيبته في ألمانيا، حتى فقد مكانته فيها

(70)

مات أوتو الثالث عام 1002 بقرب مدينة روما ، وعمره اثنان وعشرون عاماً فقط ، ثم لحق به سلفستر الثاني بعد سنة . ومجمل القول ، ان اوتو الثالث كان رجلاً فطرياً حالماً ، قضى حكمه غارقاً في أحلام الماضي ، بعيداً عن الواقع والحقائق التي أحاطت به التي فقد مكانته فيها عند وفاته ⁽⁷²⁾.

385 | مجلة مداد الآداب

انتقل الحكم بعد وفاة أوتو الثالث إلى فرع آخر من الأسرة السكسونية، وهو هنري الذي كان دوقاً لبافاريا، حيث كان هنري ابن عم أوتو هو الوريث الشرعي الوحيد له على العرش⁽⁷³⁾.

لم يحظ الملك الجديد بنصيب من قوة أسلافه (اللاوتين) أو نشاطهم، ذلك أنه لم يتم توليته عن طريق وراثته أبائه، وإن كان حفيد أوتو الأول، كما أحس بأن الفضل في اختياره يرجع إلى أقطاب الدولة الألمانية من كنسيين وعلمانيين، ومن ثم لم يحاول أن يتبع سياسة استبدادية مثل أسلافه الملوك السكسون الأوائل، بل اختار أن يحكم عن طريق المجالس الاستشارية⁽⁷⁴⁾.

تابع هنري سياسة أسلافه في التقرب إلى رجال الدين، وفي تدعيم وتقوية سيطرته الملكية على الكنيسة؛ فعمل على قمع سيطرة النبلاء على المكاتب الكنسية والدينية محرراً التاج من الاعتماد على أي نبيل أو لورد من اللوردات، واستخدم الأساقفة كأداة له في تنفيذ سياسته الدنيوية حتى صاروا ممثلين للسلطة الإمبراطورية في مناطق نفوذهم. كان هنري الثاني الإمبراطور الألماني الوحيد الذي حاز على لقب قديس، ولم يحصل عليه بسبب ورعه فحسب، ولكن أيضاً لحماسته تجاه إصلاح الكنيسة وكان ذلك بدافع من زوجته التقيّة كاينغوندي Kaenogondi⁽⁷⁵⁾.

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية فقد أخذت حروبه ضد السلاف والبولنديين جانباً كبيراً من اهتمامه، فقد أخذ بوليسلاف (Boleslav) حاكم بولندا، بالعمل على توحيد الشعوب السلافية (بوهيميا وهنغاريا) تحت سيطرته؛ ليجعل منها قوة عظمى تطرد الألمان إلى ما وراء نهر الألب، فدفع ذلك هنري إلى إشعال فتيل الحرب، واستطاع أن يبسط سيطرته على بوهيميا وهنغاريا، لكنه هزم أمام بولسلاف، الذي هزم الألمان في سلسلة حملات، وادعى لنفسه استقلال بولندا ونصب نفسه حاكماً عليها⁽⁷⁶⁾.

إن خطر البولنديين لم يصرف هنري الثاني عن شؤون إيطاليا، إذ أدت وفاة سلفستر الثاني إلى أن تقع البابوية تحت رحمة أمراء روما من آل الكرستنتي (Crescentius) وتقطعت أوصال إيطاليا فنصب أردوين (Ardoin) حاكم أفرا ivrea نفسه ملكاً لإيطاليا بعد أن هزم جيشاً أرسله هنري لملاقاته عام 1008، بينما قام كونتات توسكلم (Tusculum) في روما بمحاولات بسط السيطرة عليها؛ فقام هنري بثلاث حملات عبر شبه الجزيرة الإيطالية كما قام بهزيمة أردوين وأحرق مدينة بافيا (Pavia)، ولكنه اضطر للرجوع إلى ألمانيا؛ بسبب القلاقل والاضطرابات التي اندلعت في بوهيميا. وفي عام 1014 وصل هنري إلى روما، ثم توجه البابا بندكت الثامن Benedict VIII إمبراطوراً على روما، وسيطر على شؤون الحكم فيها. وفي عام 1020 زار البابا ألمانيا، لتدشين أسقفية بابنبرغ (Babenberg) التي قام هنري بإنشائها⁽⁷⁷⁾.

قام البابا بندكت الثامن باستدعاء هنري الثامن ما بين عامي 1021-1022؛ لمساندته

كذلك ظهر العداء بين الأساقفة والنبلاء من جهة، وبين كبار النبلاء وصغارهم من جهة أخرى، وبين المدن وبعضها البعض، أو بينها وبين السلطات الإقطاعية من جهة ثالثة، مما أدى إلى جعل الحال مضطرباً في إيطاليا؛ نتج عنها ظهور حركة معارضة ضد الإمبراطور والبابا، ولكن البابا بندكت الثامن قد توفي سنة 1024 ، ثم لحق به هنري الثاني في العام نفسه وذلك قبل أن تتأجج نار الفتنة ضد الإمبراطور (79).

أ- كونراد الثاني (1024-1039 Conrad II).

أعلن الايطاليون أثناء مرض هنري الثاني بأن حق توارث الإمبراطورية الايطالية قد انتهى ، فمنحوا التاج لـ(هوف Hove) ابن الملك روبرت Robert ملك فرنسا، الذي رفض ذلك، بسبب خوفه من إغصاب الإمبراطورية الألمانية، لكن الايطاليين عاودوا الكرة من جديد فمنحوا التاج إلى ابن وليام William دوق اكيوتاني Aquitaine لذلك عبر كونراد جبال الألب عام 1026 وقضى في شمال إيطاليا عاماً كاملاً ثبت فيه نفوذه وأخضع خصومه، ثم قصد روما حيث توج هو وزوجته تاج إيطاليا على يد البابا جون التاسع عشر john xix (81).

Burgundy وكانوتي canute ملك إنجلترا، الذي أعجب بهم وزوج ابنته كونهيلد gunhild من هنري ابن الإمبراطور كونراد، وبعد أن استقر السلام في هذا الجزء من إيطاليا منح كونراد المزيد من الأراضي للنورمان Normans؛ شريطة أن يقوموا بحماية الحدود (82).

خلال غياب كونراد في إيطاليا حدث تمرد في سوابيا Swabian، قام به إرنست Ernest الابن الأكبر لزوج كونراد الثاني (غيسلا) Gisela من زوجها الأول، لكنه استطاع بسط سيطرته على سوابيا من جديد ثم إعادتها إلى سيطرة القبضة الملكية ثم قام بمنحها إلى ابنه هنري (83).

أما في الشرق فقد رفض ميسكو Mecso ابن بولسلاف ملك بولندا الجديد، أن يحلف يمين الولاء للإمبراطورية، وقام بغزو سكسونيا وتدمير الكثير من القرى وإحراق كنائسها عام 1029، إلا أن كونراد لم يساعده الموقف في إنزال ضربة قاسمة بالبولنديين؛ لذلك انتهى الموقف بعد صراع طويل بالصلح سنة 1031، كما شغل كونراد الثاني بأمر بوهيميا التي كانت تربطها معه علاقة التبعية للدولة الألمانية، حين ساءت العلاقات بين كونراد ودوق بوهيميا، وظلت الفوضى ضاربة أطناها في بوهيميا حتى عام 1035، كما ساءت العلاقة أيضاً بين ستيفن Stephen ملك هنغاريا وكونراد الثاني؛ مما اضطر كونراد إلى شن هجوم على هنغاريا عام 1030 لكنه لم ينجح في تحقيق النصر؛ لذلك اكتفى بتحسين حدود الإمبراطورية المتاخمة للهنغاريين. واجه كونراد معارضة في اللورين، حيث رفض أهلها الاعتراف به بعد تنويجه ملكاً، لكنه قضى على ذلك التمرد ثم أعاد الاستقرار إلى ألمانيا تحت سيادته (84).

عاد كونراد في عام 1036 إلى شمال إيطاليا؛ لإعادة النظام فيها؛ بسبب اندلاع الحرب الأهلية بين النبلاء، لأنه كان يعتقد أنّ قوة نفوذ النبلاء والأمراء كانت تحول دون سيطرته على إيطاليا، بالإضافة إلى ذلك ارتباط الأفاضل بسلطتهم الإقطاعيين، وضعف الروابط التي تربط أولئك الأفاضل (85). وغيرهم من عامة الناس بالإمبراطور فاستطاع كونراد تقييد حركة النبلاء بوضع نظام ملكي وظيفي وزاري مؤلف من شخصيات حكومية تقوم على مراقبة الأراضي والإقطاعات، لاسيما التابعة للكنيسة (86).

كان الوزراء من المخلصين جداً لكونراد والموالين بشكل كلي لصالح الشأن الملكي، عملوا بكفاءة عالية وأصبحوا بمثابة عنصر مهم جداً في الإدارة الألمانية، وتعاضل شأنهم تدريجياً حتى أصبحوا ذوي سلطة فوق سلطة الكونتات والنبلاء لإقطاعيين. كذلك ناصر كونراد مبدأ توريث ما بأيدي صغار الإقطاعيين من أقطاعات؛ ليهيئ لهم قدراً من الاستقرار والثبات في وجه سادتهم الإقطاعيين الكبار، وكان تطبيق مبدأ الوراثة في الإقطاعات الصغيرة يدعم مبدأ توريث التاج الإمبراطوري؛ فلجأ كونراد إلى القضاء على كبار الدوقات وسلبهم مناصبهم الوراثة، فضلاً عن دعم نفوذ الأساقفة والتمسك بتقليدهم تقليداً اعمى، واستخدامهم كأداة؛ للحد من بطش كبار الأمراء (87).

بذلك استطاع كونراد حل قوة الإقطاع في مملكته، ولم يكن لديه أدنى تسامح في تعاضل

في الناس، وهو الطريقة التي يسيطر بها الحاكم على شعبه؛ لأن الشعب إذا اعتقد بتدين حاكمه وإيمانه تصبح ثقته به كبيرة ، وطاعته له سهلة، وذلك من منطلق أن الإيمان الذي يتحلّى به الحاكم هو الذي يوجهه في كل ما يقوم به، وهذا دليل كبير على استغلال الدين للسيطرة على الحكم.

كانت أهم المشاكل التي واجهت هنري هي مشكلة بولندا وبوهيميا وهنغاريا، فخلال توليه الحكم استطاع أن يدمج كل من هنغاريا وبولندا وبوهيميا في مملكته ، لكن لم يدم ذلك طويلا . كانت بوهيميا أول من ثار على هنري حين حاول حاكمها استعادة استقلال بوهيميا، وقد أعانه أسقف براغو على ذلك ؛ طمعاً منه في أن يُرفع إلى درجة رئيس أساقفة؛ حتى يتحقق لبوهيميا الاستقلال السياسي والكنسي⁽⁹⁴⁾ .

وبعد صراع عنيف استمر مدة عامين أجبر الحاكم البوهيمي على الاستسلام ، وكان ذلك في عام 1042، كما أجبر على أداء قسم الإخلاص والوفاء للإمبراطور، أما ابنه الذي خلفه على العرش فقد قام فور توليه عرش بوهيميا بطرد كل الألمان حتى أمه الألمانية من بوهيميا⁽⁹⁵⁾ .

ولم تكن بولندا مصدر خطر واضح على هنري بعد أن مزقتها الحروب الأهلية، وتعرضت لهجوم من جانب بوهيميا التي كانت في ذلك الوقت أقوى الدول السلافية ، ولذلك لم يصادف هنري صعوبة كبيرة في إعادة بولندا إلى تبعيتها للإمبراطورية، أما هنغاريا فقد واجه فيها صعوبة كبيرة ، إذ قام الهنغاريون بخلع الملك ثم تعيين ملك وثني جديد اسمه (أبا Aba) على العرش، وحاول أبا أن يحصل على اعتراف هنري به ملكاً، ولما رفض هنري؛ أغار على ألمانيا عام 1042 ثم عاد محملاً بالأسلاب⁽⁹⁶⁾ .

ثم وقعت معركة بين الملك أبا وهنري الثالث عند مانيفو Menfo عام 1044 كان النصر حليف الإمبراطور، ومن ثم تم إعادة الملك القديم بيتر peter وإعدام أبا. ولكن عاد الهنغاريون عام 1051م للثورة على الملك بيتر وقاموا بانتخاب ملك جديد يدعى اندرياس Andreas؛ مما استدعى هنري للقيام بحملة جديدة على هنغاريا أدت إلى إجبار اندرياس على الاعتراف بالتبعية للإمبراطور وأن يلتزم بالدستور البافاري الذي قسم هنغاريا إلى مقاطعات⁽⁹⁷⁾ .

وفيما يتعلق بالسياسة الداخلية فقد قام هنري الثالث باستخدام الإصلاح الكولوني⁽⁹⁸⁾ الذي ساعده على إحياء الحياة الروحية لألمانيا، والحد من الهيمنة الكبيرة لحركة النبالة فيها، وبدعمه للمطالب التي قام عليها رهبان الإصلاح الكولوني؛ استطاع الملك السيطرة على كل المناطق التي كان يسيطر عليها النبلاء ، خاصة تلك التي كانت تعود إلى الكنيسة معيقاً بذلك حركة اللوردات الدائبة لنيل الاستقلال عن الملك، واحتل فرسان الإصلاح الكولوني المكانة الروحية في المملكة؛ مما جعل الملك ورجال الدين

يخشونهم لقوتهم وسطوتهم (99). وذلك ما حصل بالفعل ، فقد أرغم الملك هنري الثالث البابا غريغوري الخامس Gregoey V والذي توجه بابا بنفسه على التخلي عن منصبه عام 1046؛ مما أثار غضب الأساقفة والرهبان الذين أوصلتهم حركة الإصلاح الكولوني إلى نيل استقلالية تامة عن الملك، والادعاء بأحقية البابا بعدم الاستجابة لمطالبه ، وكانت تلك التي أقحمت الباباوات والأباطرة في صراع مرير، وقد دفع ذلك الإصلاح ، البابا إلى مكانة لم يستطع أي إمبراطور بعدها سحبها منه، وبالرغم من أن هنري الثالث حكم نطاقاً عريضاً من المناطق إلا أن سياسته قد نُفرت الكثير من النبلاء وقوضت آماله في توسيع إمبراطوريته (100).

وفيما يتعلق بموقف هنري الثالث من البابوية، فقد أظهر حماساً بالغاً؛ لانتشار البابوية مما وقعت فيه من الفوضى من جديد. لقد كان الحدث العظيم الذي أربك المنطقة كلها في تلك الفترة هو انشقاق الكنيسة على نفسها بين العديد من الباباوات المعاصرين لفترة حكم هنري الثالث وخاصة في إيطاليا (101).

لذلك هدفت الحركة الإصلاحية منذ البداية إلى تخليص الكنيسة من كل الفوضى والارتباك والانقسام والفساد، وكان ما رمى إليه دعاة تلك الحركة هو مقاومة اعتبار كبار الكنسيين الألمان موظفين ملكيين، اختارهم الملك وقلدهم شارات وظائفهم، ورغم ترحيب هنري بممثلي حركة الإصلاح الكولوني، ومساندتهم في إصلاح الأديرة؛ فإنه لم يدرك بأن ذلك الإصلاح قصد به أساساً نظامه السياسي، ولم يدرك ما كانت تنطوي عليه سياسته من خطر (101).

كانت سياسة هنري الثالث الدينية على جانب كبير من الأهمية والتناقض، ذلك أنه عمل على إصلاح الكنيسة من بيع الوظائف الدينية، ومن المفاصد الكنسية الأخرى، ولكنه حرص في الوقت نفسه على السيطرة عليها وعلى البابوية دون أن يدري أن تلك السيطرة من الأمراض الخطيرة التي تشكو منها الكنيسة . نستنتج مما سبق ان هنري الثالث كان يعلم أهمية الكنيسة لدعم الإمبراطور ونظامه مادياً وعسكرياً، وبذلك قام بدعم الكنيسة ومساندتها إصلاح الأمور التي لا تمس سلطته ونفوذه، وتغاضى عن هدف الإصلاح في التخلص من سلطة الباباوات، وأصر على حقه في تعيين الباباوات. ولعل قبول الكنيسة بذلك جاء من منطلق وجود مصالح متبادلة بين الطرفين. ومن ناحية أخرى ، عانى الملك في سنوات حكمه الأخيرة من اضطرابات وحركات تمرد في أكثر من نصف الإمبراطورية .

كان دوقات سكسوني واللورين هم من أبدوا المقاومة الأشرس لهنري ؛ وذلك بسبب انتزاع هنري لحقوق الدوقات بجنوب سكسونيا،الذين ظلوا زمناً طويلاً مستقلين عن سلطة الملك ، فقد فرض الوصاية الملكية على الأراضي التابعة للفلاحين الأحرار وأولى مسؤوليتها لدوقات من رجاله. كما قام بتقسيم اللورين بين أبناء الدوق السابق لتلك المنطقة؛ مما أدى إلى قيام أحد أبنائه بتمرد ضخم انضم إلى ذلك التمرد كونتات هولندا والفلاندرز (102).

وفي عام 1056م هاجمت قبائل اللوتيزي Allotizi السلافية ألمانيا لكنها لم

تستطع اقتحام الجدار الدفاعي الذي أقامه في وجههم حاكم سكسوني، وخلال نفس العام ضرب ألمانيا زلزال ضخّم كان له وقعته الشديّد على الإمبراطورية كلّها، اذ حلت المجاعات والكوارث تبعاً على ألمانيا، ومات الإمبراطور نفسه بعدما أصيب بالمرض، ولفظ أنفاسه في منطقة بوتفيلد Botfeld بالقرب من جبال هارز Harz، وقد ترك الإمبراطورية وديعة لدى الإمبراطورة أجنس Agnes وابنه هنري الذي كان حينها في الخامسة من عمره. وبذلك فإن المسؤولية الكاملة حينها وقعت على كاهل امرأة وطفل لم يتجاوز الخامسة من عمره (103).

ج- هنري الرابع (1056-1106م)

حكم هنري الرابع خمسين عاماً، ويرجع ذلك لتوليّه الحكم وهو صغير، فقد توج في عهد أبيه وكان في الرابعة من عمره، وعندما مات والده كان لا يتجاوز الخامسة؛ فخضعت المملكة لحكم أوصياء عديدين، وتولى الباباوية وقتذاك أجراً المصلحين وأكثرهم حماساً، وهو هلدبراند Hildebrand، الذي صار يعرف فيما بعد بالبابا جريجوري السابع Gregory VII وقبل أن يبلغ هنري الرابع الخامسة عشر من عمره كان الإقطاع في ألمانيا قد استولى تقريباً على الإرادة الملكية، فلم يكن الملك سوى تمثال حجري لملك أو خادم في أسقفية، وقد قاتل الأسقف (جريجوري السابع) –والذي كان المستشار الأول لهنري الرابع حتى عام 1066م- ضد حركة النبلاء الإقطاعية خاصة في سكسوني، لكن تغلب النبلاء الذين عملوا على نهب أبرشيته التي كان يترأسها (104).

كانت إمبراطورية هنري الرابع الجديدة تقوم على أسس اجتماعية لها أثرها في صراعه مع حركة النبلاء والكنيسة، وفيما يتعلق بشؤون المدن والممالك التي كانت لأولئك سلطة مطلقة فيها، كان هنري الرابع يبحث عن الحداثة وتأسيس مملكة ألمانية قائمة على أسس جديدة بعيدة عن التعقيدات الجامدة للكنيسة وتسلط النبلاء، فقد كان ثائراً على الدستور القديم الذي يحكم المملكة (105).

اختار هنري الرابع، مدينة جوسلر goslar بجبال هارز بجنوب سكسونيا لتكون عاصمة له، وشيد بها قصراً ضخماً. وقام بإنشاء العديد من الحصون والقلاع؛ لتأمين الأراضي التابعة للملكية الألمانية، لكن بالرغم من ذلك لم يكن تام الوثوق من التأمينات التي قام بها؛ مما دفعه لبناء المزيد منها، وتحويل البلاط الملكي بكامله مع الأساقفة والرهبان إلى موظفين إداريين يخدمون مصالحه الملكية (106). ولما كان هنري الرابع يرجو ألا يرى أي سيد في المملكة؛ فكر في حرمان وتجريد السادة الإقطاعيين من اقتطاعتهم ونفوذهم. بدأ بالسلطة السكسون، اذ ارادها مملكة قائمة

على نظام إداري راق. وبالرغم من أنه الملك الأقل حظاً ، فإنه يعتبر الموحى الأول
 لنهضة أسس جديدة في عالم الحكم والإدارة الملكية ، وكان بوسع هنري الرابع أن
 ينجح في مشروعاته لإقامة ملكية ألمانية مركزية قوية، لو لم يصطدم بالبابا
 جريجوري السابع ، فمنذ أن كان هنري الرابع شاباً يافعاً إلى أن أصبح ملكاً كان
 يبدي روحاً ملكية انسيابية رائعة توحى بأنه الأجدر لتلك المكانة بعد أبيه هنري
 الثالث، وقد كان رجلاً يفضل الموت على الهزيمة (107).

وعندما استقر كل شيء لهنري الرابع، قام البابا بضربه من الخلف مدمراً كل شيء
 صنعه هنري الرابع. وكان البابا جريجوري السابع ذا شخصية لها مكانتها واحترامها،
 وبعد توليه المنصب البابوي كشف البابا عن نواياه الحقيقية بكلمات ملتهبة قالها في
 خطبة أمام جمع من الناس "ملعون من يعيد سيفه إلى غمده مملوءاً بالدم" ، قاصداً
 هنري الرابع وملك فرنسا، وقاصداً أيضاً إعلان سلطة البابوية على الدولة وعلى
 الكنيسة. وقد طلب من هنري أن يخلع كل مستشاري التاج والعودة إلى البابوية في
 كل الأمور فاعترض هنري الرابع على تلك القرارات، وهو الذي كان يرى والده
 بالأمس بعين البابا نفسه، يجد نفسه لا يستطيع أن يعين أي رجل دين، واستمسك هنري
 الرابع بحقه في تعيين الأساقفة ورجال الدين مستنداً إلى ما سارت عليه ألمانيا دون
 غيرها من الحكام منذ فترة بعيدة (108). وانتهى الأمر بالصدام المسلح بين الطرفين،
 ولم يصل الطرفان إلى نتيجة حاسمة فاستعان هنري الرابع بالطرق الدبلوماسية
 وفشل فيها أيضاً، وخلال تلك المرحلة كان موقف هنري بين الرضوخ والتمرد إلى أن
 نجح هنري في إقصاء البابا عن عرشه فعلاً بعد مجمع بركسن Brixen الذي عقد
 في عام 1080، ونصب مكانه كلمنت clement III الثالث الذي كان من أشد أعداء
 جريجوري السابع (109).

كان الصراع بين الإمبراطورية والبابوية في تلك المرحلة شديداً للغاية، لم ينته
 بعزل جورجي السابع بل استمر حتى وفاته، ثم مع خلفائه من بعده ، فقد قام الباباوات
 الثلاثة الذين خلفوا جورجي بحرمان هنري الرابع كنسياً (110).

ورغم جهود هنري الرابع في ضبط زمام الأمور لم يستطع أن يحل كل مشاكله في إيطاليا، كما بدأت المتاعب تشغله في ألمانيا ، فقد انتشر الشقاق والنزاع فيها ونجح الأمراء الثائرون في ضم ولدي هنري وهما هنري الخامس وكونراد إليهم، وظل الصراع قائماً بين الأبناء وأبيهم حتى تنازل هنري الرابع عن العرش لابنه هنري الخامس عام 1105، ثم ما لبث هنري الرابع أن مات في العام التالي⁽¹¹¹⁾. ونجم عن الحروب الداخلية العنيفة التي دارت أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، أن ظهرت ألمانيا أخرى، بالغة الاختلاف عن ألمانيا السابقة، فقد عمت النظم الإقطاعية البلاد وأضحى صغار السادة أتباعاً للأمراء، وحرص الأمراء أن يجعلوا مناصبهم وأملاكهم إقطاعيات وراثية، وعلى الرغم من أن ألمانيا ظلت نحو قرن محافظة على قوتها، فإن ظهور الأمراء دمر المملكة الألمانية⁽¹¹²⁾.

الخلاصة

نستنتج مما تقدم :

* أن أوضاع ألمانيا خلال فترة البحث لم تكن مستقرة تماماً ، وإنما تخللها صراعات ، سواء داخلية أم خارجية كما حكمتها عدة اسر بسبب خلو العرش من ولي عهد يعود إلى الأسرة الملكية .

* رغم أن العصر عصر إقطاع وسيطرة رجال الدين والنبلاء على السلطة ، لكن هذا لم يمنع حدوث صراع بين النبلاء ورجال الدين من أجل السيطرة على السلطة والحصول على الامتيازات التي كانت شائعة في عصر الإقطاع من جمع الضرائب والرشاوى .

* استغلال رجال الدين والكنيسة من أجل الوصول إلى السلطة والحياسة على امتيازاتها الإقطاعية وأموالها .

* كثرة الحروب سواء الداخلية بين السادة الإقطاعيين وبين الأمراء ورجال الدين من جهة أخرى . وخارجية بين مملكة ألمانيا ، وملوك وأمراء الممالك المجاورة لها وكانت الحرب سجال بينهم ، وتمردات على السلطة الملكية الألمانية .

* ويمكن أن نعدّ هذه الفترة ، من تاريخ ألمانيا ، نموذجاً للنظام الإقطاعي في العصور الوسطى . الذي كان الدين فيه موجهاً نحو السلطة ، على الرغم مما بدا من صراع بين الكنيسة والإقطاعيين الكبار ، لان كليهما يرى في الدين (وهو المذهب الكاثوليكي) مبرراً له في السيطرة ، هذا فضلاً عما كان يدور من صراع بين الإمارات الإقطاعية أيضاً .

الهوامش :

- 1- أعريني ، السيد الباز ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، بيروت 1990 ، ص 418 .
- 2- كانتور ، نورمان ف .، العصور الوسطى البكرة (القرن الثالث / القرن التاسع الميلادي) ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ، 1993 ، ص 356 .
- 3- حافظ ، حمدي ، توحيد ألمانيا ، القاهرة ، ب ت ، ص 3 .

- 4- النائب ، إحسان عبد الهادي سلمان ، المسألة الألمانية من وحدتها إلى إعادة توحيدها ،
السليمانية ، 2013 ، ص 11 .
- 5- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، بيروت 1990 ، ص
ص 246-247 .
- 6- Lamonte, John ,The World Of The Middle Ages :Areorientation
Medieval History , France , 1949, p.170 .
- 7- حاطوم ، نور الدين ، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، ج 1 ، دمشق ، 1982 ، ص 447 .
- 8-Robinson , James Harvey , An Introduction to The History of Western
Europe , Posten ,1903 , 2008,p. 96.
- 9- حاطوم ، المصدر السابق ، ص 447 .
- 10- Robinson , op. cit ., p 104 .
- 11- Cop, Jason p., A Brief History of Germany , New York ,2011, P.30 .
- 12- Ibid ., p 31 .
- 13-Bury ,J.B.,& Others . Cambridge Medieval History , Vol. III, New York
,1922 ,P. 69 .
- 14 – كانتور ، المصدر السابق ، ص 358 .
- 15- Bury & Others, Op. Cit ., P. 70.
- 16- Flurry , Stephen , History of Germany , U.S.A., 1997,P.69.
- 17- Lamonte, Op. Cit ., P. 117.
- 18- Thomson, James Westfall ,feudal Germany, U.S.A., 1928 ,P 26 .
- 19- عاشور ، المصدر السابق ، ص 285 .
- 20 – لقب بالصيد ، لان اختياره للملك تم اثناء انشغاله برحلة صيد لذلك لقب في التاريخ بالصيد .
عاشور، المصدر السابق ، ص 286 .
- 21- ديفز ، ه.و.، أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الحميد محمود ، الإسكندرية ، 1958 ،
ص 72 .
- 22- Lamonte, Op. Cit ., P. 172.
- 23- Flurry, Op. Cit ., P. 84.
- 24- طه ، جاد ، ألمانيا إلى أين المصير ، القاهرة 1990 ، ص 13 ؛ حاطوم ، ص 455 .
- 25- إحسان ، المصدر السابق ، ص 11 .
- 26-Barraclough , G., The Medieval Time Western Europe , U.S.A., 1987, P.
27 .
- 27- عاشور ، المصدر السابق ، ص 299 .
- 28- Barraclough, Op. Cit ., P. 28.
- 29 - Cop, Op. Cit ., P.32- 33.
- 30- حاطوم ، المصدر السابق ، ص 457 .
- 31- طه ، المصدر السابق ص 13 .
- 32- ديفز ، المصدر السابق ، ص ص 74-75 .
- 33- Lamonte, Op. Cit ., P. 173.
- 34- Bury & Others, Op. Cit ., p. 79.
- 35- Ibid ., p. 186 .

- 36- Cop, Op. Cit ., P.65.
- 37- طه ، المصدر السابق ص 13 .
- 38- Robinson, Op. Cit ., P.152.
- 39- Barraclough, Op. Cit ., P. 82.
- 40- هسلر ، س زورن ، أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة محمد فتحي الشاعر ، القاهرة 1988 ، ص 149 .
- 41- Bury & Others, Op. Cit ., P. 197.
- 42- ألعريني ، المصدر السابق ، ص ص 424-426 .
- 43- المصدر نفسه ، ص 426 .
- 44- فشر ، ه . ا.ل. تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد ألباز ألعريني ، القاهرة ، 1950 ، ص ص 139-140 .
- 45- طه ، المصدر السابق ص 14 .
- 46 – كين ، موريس ، حضارة أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة 1994 ، ص 44 .
- 47- Strayer ,Joseph, Western Europe In Middle Ages ,New York , 1955 , P. 67 .
- 48- هسلر ، المصدر السابق ، ص 149 .
- 49- المصدر نفسه ، ص 155 .
- 50- عبد الحميد ، رأفت ، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى ، القاهرة ، 2002 ، ص 130 .
- 51- بروي ، ادوارد ، تاريخ الحضارات العام : القرون الوسطى ، ترجمة ، يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر ، ط2 ، بيروت 1986 ، ص 184 .
- 52- عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص 132 .
- 53- ديفز ، المصدر السابق ، ص ص 75 ، ألعريني ، المصدر السابق ، ص 341.
- 54- عاشور، المصدر السابق ، ص 303 .
- 55- Logan , F.Donald ,A History Of Church In The Middle Ages , London , 2002 , P.79 .
- 56- هسلر ، المصدر السابق ، ص 150 .
- 57 – دورانت ، ول ، قصة الحضارة : عصر الإيمان ، ترجمة ، م 4 ، ج 3 ، ص 329 .
- 58- Reuter , Timothy , Germany in The Early Middle Ages 800-1056 , Singapore ,1991 .P. 174 .
- 59- Logan , op. cit ., p.88.
- 60 – عاشور المصدر السابق ، ص 310 .
- 61- Lamonte, Op. Cit ., P. 179.
- 62- عمران ، محمود سعيد ، حضارة أوروبا في العصور الوسطى ، بيروت ، 1991 ، ص 195 .
- 63- Bury & Others, Op. Cit .,P. 208 .
- 64- ديفز ، المصدر السابق ، ص 71 .
- 65- Bury & Others, Op. Cit ., P. 169.
- 66- كانتور ، المصدر السابق ، ص 363 .
- 67- Hoeh, Christian, A History of Germany in the Middle Ages ,London ,1962 , p.33 .

- 98- الإصلاح الكالوني :

104- Logan , Op. Cit , P, 67.

105- Bury & Others, Op. Cit ., PP. 285.

106- ألعرنني ، المصدر السابق ، ص 442 .

107 – المصدر نفسه ، ص 443 .

108- Maehl, Op. Cit ., P.52.

109- عمران ، المصدر السابق ، ص 202 .

110- هسلر ، المصدر السابق ، ص 185 .

111- الشيخ، محمد محمد مرسي، النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطى ، القاهرة ،

1998 ، ص ص 340-339 .

112- ألعرنني ، المصدر السابق ، ص ص 443 - 444 .